مجـلـة الحـق

تصدر عن كلية القانون – جامعة بني وليد – ليبيا

Website: https://www.al-haqjournal.ly/index.php/alhaq/index

العدد الثالث عشر ، يونيو 2024، عدد خاص بالمؤتمر الدولي الأول لكلية القانون

مبدأ المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد

أ. خليفة مخزوم العجيل

قسم العام ، المعهد العالي للتقنيات الهندسية ، زليتن ، ليبيا.

khleefa1990@gmail.com

The principle of legal responsibility in confronting corruption

khleefa mkzom alajel

General Department, Higher Institute of Engineering Technologies, Zliten, Libya.

تاريخ الاستلام: 2024-04-22 تاريخ القبول: 2024-05-13 تاريخ النشر: 2024-06-01

الملخص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فقد تناولت في هذا البحث الحديث عن مبدأ المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد، وقد بينت معنى المسؤولية الشرعية ومفهوم الفساد، وما يترتب عليهما من خلال فهمهما الفهم الصحيح من الإحساس بالأمانة والخوف من الله تعالى، وتجنب الفساد بشتى أنواعه وما يترتب على الفساد من عقوبة في الدنيا والآخرة، وكذلك تحدثت عن المبادئ التي قامت عليها المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد ودورها في إحساس المسلم بالمسؤولية، ومراقبة الله عز وجل، والعمل على إصلاح المجتمعات ومحاربة الفساد، ونشر الأمانة والنزاهة بين الناس.

الكلمات الدالة: مبدأ المسؤولية ، مواجهة الفساد ، المسؤولية الشرعية ، أسباب الفساد، الأمانة.

Abstract

Praise be to God, Lord of the Worlds, and may blessings and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers, our Prophet Muhammad, and upon all his family and companions.

Moreover, in this research, I have discussed the principle of legal responsibility in confronting corruption. I have explained the meaning of legal responsibility and the concept of corruption, and what they entail through their correct understanding of a sense of honesty and fear of God Almighty, avoiding corruption of all kinds and the punishment that corruption results in this world. And the afterlife, and also talked about the principles on which the legal responsibility in confronting corruption is based and its role in the Muslim's sense of responsibility, monitoring God Almighty, working to reform societies, fighting corruption, and spreading honesty and integrity among people

Keywords: The principle of responsibility, confronting corruption, legal responsibility, causes of corruption, honesty.

مقدمة:

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وبعد؛ فلا يخفى على أحد ما للمسؤولية الشرعية من دور كبير في مواجهة الفساد بجميع صوره وأشكاله، فالمسؤولية الشرعية تقع على عاتق الجميع، وهي تبدأ من البيت والمدرسة وجميع مراحل التعليم المختلفة، فهي واجب شرعي، أمر به القرآن الكريم، وأمرت به السنة النبوية؛ التي تمثل الأساس المرجعي في ذلك، فالقرآن الكريم يبين لنا المنهج الذي ينبغي أن نربي عليه أنفسنا وأهلينا استشعارا بهذه المسؤولية العظيمة قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ [1]

وانطلاقا من هذه المسؤولية الشرعية، والمبادئ التي قامت عليها في مواجهة الفساد، وهي مسؤولية الجميع وددت المشاركة ببحث متواضع في المؤتمر الدولي الأول التي تنظمه وتشرف عليه كلية القانون بجامعة بني وليد تحت عنوان" مكافحة الفساد بين الواقع والقانون" والمشاركة لي في هذا المؤتمر ضمن المحور الشرعي "مكافحة الفساد من منظور إسلامي"

وعنونت لبحثي بعنوان: **(مبدأ المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد)**

أهمية البحث :

1- يستفيد من هذا البحث البحاث والمختصون في علم الشريعة والإسلامية ؛ وذلك لأن هذا البحث يقوم على أصلين عظيمين لاشك فيهما، ألا وهما القرآن الكريم والسنة النبوية.

2- إن فهم المسؤولية الشرعية والمبادئ التي قامت عليها في مواجهة الفساد تؤدي إلى الإحساس بهذه المسؤولية أمام الله تعالى والعمل على الإصلاح داخل المجتمع.

3- يسهم البحث في تعزيز دور الأمانة داخل المجتمع والحفاظ عليها، والبعد عن الفساد بجميع صوره وأشكاله.

أهداف البحث:

1- بيان مفهوم المسؤولية الشرعية.
2- بيان مفهوم الفساد.
3- بيان المبادئ التي قامت عليها المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد.

تساؤلات البحث:

1- ما مفهوم المسؤولية الشرعية؟
2- ما مفهوم الفساد؟
3- ما المبادئ التي قامت عليها المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد؟

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي.

---

[1] سورة التحريم ، الآية :6 .

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول : التعريف بالمسؤولية الشرعية ومفهوم الفساد:

المطلب الأول : مفهوم المسؤولية الشرعية.

المطلب الثاني : مفهوم الفساد.

المبحث الثاني : المبادئ التي قامت عليها المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد.

المطلب الأول : مبدأ وجوب وقاية الأهل من النار.

المطلب الثاني : مبدأ الدين النصيحة.

المطلب الثالث : مبدأ مسؤولية الرعاية.

الخاتمة : وتشمل على النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

التعريف بالمسؤولية الشرعية وبيان مفهوم الفساد

المطلب الأول : مفهوم المسؤولية الشرعية.

أولاً : المسؤولية في اللغة.

فتعريفها من الناحية اللغوية فهي " اسم مفعول من الثلاثي "سأل" واسم الفاعل منه "سائل" قال تعالى **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ** (1) وهي مصدر صناعي أيضاً مثل " الحرية " نسبة إلى " حر " واسم مفعول وهو من وقع عليه الفعل وفي هذه الحالة يكون المسؤول موضع الفعل " سأل " بصرف النظر عن نوعية السائل علا عنه أو دنا " (2) .

ثانياً : المسؤولية في الاصطلاح.

إن مفهوم المسؤولية في الاصطلاح هي : ((الاستعداد الفطري الذي جبل الله تعالى عليه الإنسان ليصلح للقيام برعاية ما كلفه من أمور تتعلق بدينه ودنياه فإن وفّى ما عليه من الرعاية حصل له الثواب ، وإن كان غير ذلك حصل له العقاب"(3).

" وبالنظر إلى المسؤولية في الإسلام نجد أنها عامة تطبق على جميع الأفراد ، اللهم إلا اللذين لا يمكنهم أداء التكاليف الشرعية المنوطة بهم بسبب أصابهم فإنهم لا يمكن إدخالهم في عداد المسؤولين كالمجنون ، والسكران ، والمعتوه .. إلخ ، كما أن المسؤولية بهذا المعنى الواسع تعمل على حماية القيم في المجتمع " (4) .

وعرفها بعض الباحثين بقوله : ((كون الناس جميعاً مأمورين من قبل الله سبحانه بأن يرتضوا مجموعة القيم والمبادئ والتعاليم التي بلغها لهم خاتم النبيين منهاجا لحياتهم فيرضاها الصفوة من الخلق مختارين ، ويأباها غيرهم ويكون على أساسها الحساب والجزاء عدلاً وفضلاً)) (1).

---

(1) سورة الضحى، الآية: 10.

(2) المعجم الوسيط، صادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، (1 / 411).

(3) المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، لمحمد الشافعي، ط1 – 1982م، مطبعة السنة المحمدية، ص38.

(4) مسؤولية رئيس الدولة في الفقه الإسلامي لمحمد نويجي، د– ط، دار الجامعة الجديدة – الإسكندرية، ص24.

المطلب الثاني : مفهوم الفساد

الفساد لـه مفهوم لغوي ذكره علماء اللغة في معاجمهم، وكذلك لـه مفهوم شرعي حيث ورد ذكره في القرآن الكريم واستنبط العلماء من ذلك مفهوما وتعريفا له:

أولا: مفهوم الفساد في اللغة:

الفساد هو نقيض الصلاح قال الأزهري "قال الليث : الفساد نقيض الصلاح، والفعل فسد يفسد فسادا قلت ولغة أخرى يفسد فسودا، وقول الله عز وجل (ويسعون في الأرض فسادا) نصب (فسادا) لأنه مفعول له، كأنما قال : يسعون في الأرض للفساد، ويقال: أفسد فلان المال يفسده إفسادا وفسادا(والله لايحب الفساد) وفسد الشيء إذا أباره "(2)

ثانيا: مفهومه في الاصطلاح الشرعي:

قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى –: "الإفساد في الأرض العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه عنه، وتضييع ما أمر الله بحفظه فذلك جملة الإفساد" (3)

ويعرفه ابن عبد البر المالكي – رحمه الله تعالى – بقوله: "وأما اجتناب الفساد فكلمة جامعة لكل حرام وباطل والله لا يحب الفساد" (4)

وعرفه ابن عاشور– رحمه الله تعالى– فقال: "الإفساد في الأرض منه تصيير الأشياء الصالحة مضرة كالغش في الأطعمة، ومنه إزالة الأشياء النافعة كالحرق والقتل للبراء، ومنه إفساد الأنظمة كالفتن والجور، ومنه إفساد المساعي كتكثير الجهل وتعليم الدعارة وتحسين الكفر ومناوأة الصالحين المصلحين." (5)

ومن خلال التعاريف السابقة نجد أن الفساد يدور حول معنى الشيء المحرم ونشر الباطل ومحاربة الصالحين والمصلحين.

المبحث الثاني

المبادئ التي قامت عليها المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد

المطلب الأول: مبدأ مسؤولية الرعاية

إن مبدأ مسؤولية الرعاية في مواجهة الفساد تقع على عاتق جميع المسلمين أفراداً وجماعات، حتى يقوموا بواجبهم نحو هذه المسؤولية .

فقد جاء عن النبي – ﷺ – أنه قال : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولية عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته) (6).

([1]) المسؤولية والجزاء في السنة المطهرة، لحسن صالح العناني، ص75، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين 1979م

(2) تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري اللغوي، ت: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1– 2001م (257/12).

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير أبو جعفر الطبري، ت: أحمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: 1– 2000م (289/1)

(4) الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، ت: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط:1 – 2000م (134/5).

(5) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر 1984م، (284/1– 285)

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب العبد راع في مال سيده برقم (893)، ط1 – 1422هـ، دار طوق النجاة، (2 / 5).

وضع الرسول – ﷺ – في هذا الحديث الشريف الذي هو من جوامع كلمه أن كل فرد من أفراد المسلمين حاكمين ومحكومين ، ذكراناً وإناثاً، مخدومين وخادمين أمام مسؤوليته المنوطة به ، حسب منصبه ووظيفته ، فكل فرد مسلم يعتبر راعياً ومرعياً في وقت واحد ، عليه حقوق يجب أن يؤديها لأهلها ، وله واجبات يجب أن تؤدي إليه.(1) فقد قرر عليه السلام في هذا الحديث مبدأ المسؤولية وحمل كل شخص صغيراً كان أم كبيراً تبعة ما أسند إليه من عمل ، وما اؤتمن عليه من رعية .

وقد عمم النبي – ﷺ – في مطلع الحديث بقوله : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وفي آخره بقوله : (وكلكم راع ومسؤول عن رعيته) وخص فيما بين ذلك.. فذكر أعلى أصناف الناس في أول من ذكر ، وأدناهم في آخر من ذكر ، وأوساطهم فيما بين ذلك ، فالمقصود من الحديث استغراق كل أفراد المسلمين بذكر أعلاهم وأدناهم ، ووسطهم (2) .

والمسؤوليات التي ذكرت في هذا الحديث أربع ، وهي مسؤولية الإمام ، ومسؤولية الرجل ، ومسؤولية المرأة ، ومسؤولية الخادم .

1- فإمام الأمة من رئيس أو والٍ أو حاكم راع في أمته ، وهو أعظم الناس تبعة ، وأشدهم مسؤولية ، لتعلق حقوق كل الرعية به ، لأن في صلاحه صلاحهم ، وفي فساده فسادهم .

ومعلوم أن للإمام حقوقاً على رعيته ، وللرعية حقوقاً لإمامهم ، أما حقوق الإمام على رعيته فهي تتلخص في أمور ثلاثة . (3)

الأمر الأول : طاعته في غير معصية الله تعالى ، كما قال عز وجل **يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** (4) .

وقال النبي ﷺ : (على المرء المسلم ، السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (5) .

الأمر الثاني : بذل النصيحة له ، بتوجيهه إلى الخير ، وتشجيعه عليه ، وتقويمه إن عدل عنه وذلك بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، بالتي هي أحسن ، بأن يذكروه بحقوق الله عليه ، ثم بحقوق رعيته حيث أخذ منهم البيعة على الطاعة في غير معصية وأخذوا منه العهد بالقيام بشريعة الله حتى يكون دائماً في حذر من الوقوع فيما يعود عليه وعلى رعيته بشر في دينهم ودنياهم .

الأمر الثالث : أن يكفوا عن ذكر معايبه ، في المجتمعات والأندية ، والأسواق والمساجد ونحوها ، وينتهروا من يفعل شيئاً من ذلك ، ويمسكوا عن حض الناس على القيام ضده لخلعه ونبذ طاعته ، ما دام معترفاً بأحكام الإسلام بأنها

---

(1) ينظر: المسؤولية في الإسلام، لعبد الله الأهدل، ط3، 1992م، د – ن، ص7.

(2) ينظر: المسؤولية في الإسلام، ص7 – 8.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص12 – 13 – 14.

(4) سورة النساء، الآية: 59.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم (1839)، (3/ 1469).

حق ، غير جاحد ولا مستهزئ ، لأن اغتياب الإمام والحث على الخروج عليه فيه خطر عظيم ، من إثارة للفتن والقلاقل وسفك للدماء ونهب للأموال واستباحة للأعراض .

وكما أن للإمام حقوقاً على رعيته ، فإن للرعية حقوقاً عليه يجب أن يقوم بها خير قيام .

وخلاصتها : أن يجتهد في تحصيل ما ينفعهم ودفع ما يضرهم في دينهم ودنياهم ويبتعد عن غشهم وخيانتهم ، ولا يتحقق له ذلك إلا بأمور(1)

الأمر الأول : أن يختار لوظائف الدولة أحسن من يظن فيهم القيام بها ، خبرة وأمانة ، وقدرة وإخلاصاً وحكمة ، ويحض كلا منهم على اختيار الأصلح فالأصلح للوظائف التي تحت مسؤوليته، وذلك حفاظا على الأمانة التي كلفو بها، وبعدا عن الفساد بشتى أنواعه.

الأمر الثاني : أن يختار لمجالسته أهل التقوى والخشية والعلم والورع والنصح ، ليعاونوه على فعل الخير ويحسنوه له ، وينصحوه بالابتعاد عن مقارفة الأمور التي تعود عليه وعلى رعيته بالسوء ، ويقبحوا له ذلك حتى يصبح من طبعه فعل النافع واجتناب الضار .

الأمر الثالث : أن يأخذ على أيدي السفهاء والفسقة ، ويردعهم عن الفساد والمعاصي والظلم والفوضى ومعارضة أهل الخير بالطرق المؤدية لذلك ، كالقصاص والحدود والتعازير، فإن لم يجتهد في هذه الأمور الثلاثة ، فقد غش رعيته واستحق وعيد الله الذي أجراه على لسان رسوله – ﷺ – .حيث قال : (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) (2) .

2- والزوج مسؤول في أهله راع حفيظ ، فعليه أن يحسن تدبير الأمر في أسرته فيرعى زوجته ، ويعاشرها بالمعروف ، ويقومها في حزم ورفق ويوجهها إلى الخير ، ويعرف لها منزلتها وكرامتها ، وعليه أن يهيء لأولاده حياة مادية رضية ، فيوفر لهم المسكن الملائم ، والطعام والصحي والملبس ، في حدود قدرته من غير تقتير ولا إسراف ، ومن واجبه أن يعلمهم ويحسن تربيتهم، ويربيهم على الأمانة، ويحذرهم من الفساد وأسبابه، ويعدهم للمستقبل الذي سوف يواجهونه إعداد صحيحاً ، وأن يكون لهم في ذلك كله القدوة الحسنة ؛ بما يرسم لهم من خلق قويم ، وسلوك طيب حميد .

3- والزوجة راعية ، ورعيتها زوجها ، وأولادها ، وبيتها ، والمال ، فعليها أن تطيع زوجها وتعاونه على أعباء الحياة ، وتصون كرامته ، وترعى غيبته وعليها أن تعني بأولادها، وتحسن تنشئتهم ، وتعمل على أن تقدم للوطن منهم رجالاً ونساء يسهمون في إنهاضه وإسعاده والخوف عليه من كل شر وفساد .

أما بيتها فعليها أن تغتني بنظافته وتنظيمه ، وتجعل منه موطناً يجد فيه زوجها وأولادها الراحة والاطمئنان ، وأما المال فعليها أن تحسن التصرف فيها وتنفق منه في غير إرهاق لزوجها ، أو مشقة عليه .

4- والخادم مسؤول في بيت سيده راع مؤتمن ، فمن واجبه أن يحرص على مال سيده فينميه ما استطاع ولا يعرضه للتلف أو الضياع ، وأن يكون مخلصاً في عمله ، أميناً على كل ما تحت يده من مال وولد وأهل .

---

(1) ينظر، المسؤولية في الإسلام، لعبد الله الأهدل، ص16 – 17.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، برقم (142)، (125/1).

فالعمل بهذا الحديث يعين على تربية فرد صالح يقدر المسؤولية ويشعر بها، ويحارب الفساد، فالنهوض بالمسؤوليات وتحمل التبعات من خير الوسائل لتربية النفوس على الأمانة والحزم والصبر والجلد.

المطلب الثاني

مبدأ الدين النصيحة

يقصد بالنصيحة في اللغة : الخلوص من الشوائب فيقال : عسل ناصح أو نصوح ، إذا لم يَشُبْه شيء ، وكل شيء خلص ، فقد نصح ، ونصح القول إذا أخلصه له ، فالنصح نقيض الغش. (1)

كما يقصد بها التئام شيئين بحيث لا يكون ثَمَّ تنافر بينهما ، فالنصح مصدر قولك : نصحتُ الثوبَ إذا خطتُه ومنها يقال للإبرة : المِنصحة وللخياط : الناصح ، ويقال للأرض المتصلة بالغيث أو المتصل نباتها بعضه ببعض : أرض منصوحة . (2)

والنصيحة اصطلاحاً : إخلاص النية من الغش للمنصوح له ، والمعنى (أنه يَلِمُّ شَعْثَ أخيه بالنصح كما تَلِمُّ المِنصَحَةُ ، ومنه التوبة النصيح ، كأن الذنب يمزّق الدين والتوبة تخيّطه). (3)

الدين النصيحة : يحتمل أن يُحمل على المبالغة أي : معظم الدين النصيحة ، كما قيل في حديث (الحج عرفة) ويُحتمل أن يُحمل على ظاهره لأن كل عمل لم يُرد به عامله الإخلاص فليس من الدين . (4)

فالنصيحة كلمة جامعة شاملة ، وهي من جوامع كلم الرسول – ﷺ – حيث قال: (الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)(5).

إن هذا الحديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام ، ومعنى الحديث : عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله : الحج عرفة ، أي عماده ومعظمه عرفة ، والنصيحة مأخوذة من : نصح الرجل ثوبه إذا خاطه ، فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب . (6)

والنصيحة لله : معناها منصرف إلى الإيمان به ، ونفي الشرك عنه ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها ، والقيام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه والبعض فيه ، وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والتلطف في جمع الناس على هذه الأمور ، وهكذا فالنصح لكتاب الله منصرف إلى الإيمان بأنه كلام الله وإلى تلاوته وفهمه وتطبيق أوامره واجتناب نواهيه . (7)

والنصيحة لرسول الله – ﷺ – تصديقه والإيمان بجميع ما جاء به ، وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حياً وميتاً ، والتزام سنته والدفاع عنه ، والتخلق بأخلاقه والتأدب بأدبه.(8)

---

(1) ينظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، باب الراء، ط1، دار صادر – بيروت، (615/2).

(2) ينظر: المصدر نفسه، (615/2).

(3) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، د – ط، دار المعرفة – بيروت، (138/1).

(4) ينظر: المصدر السابق، (10 /337).

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة برقم (55)، (74/1).

(6) ينظر: شرح النووي على مسلم، لأبي زكريا النووي، د – ط، دار الكتب العلمية – بيروت، (38/2).

(7) ينظر: المصدر نفسه (38/2).

(8) ينظر: المصدر نفسه (38/2).

أما النصيحة لأئمة المسلمين : فمعاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وأمرهم به ، وتنبيهم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم ، وأداء الصدقات إليهم ، وترك الخروج عليهم بالسيف إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة (1).

أما النصيحة لعامة المسلمين : فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم ، فيعلمهم ما يجهلون في دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل ، وستر عوراتهم ، وسد خلاتهم ودفع المضارّ عنهم ، وجلب المنافع لهم ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، برفق وإخلاص ، والشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم والرّحمة بصغيرهم وتخولهم بالموعظة الحسنة ، وترك غشهم وحسدهم ، وأن يحبَّ لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكاره ، والذب عن أموالهم وأعراضهم ، وتنشيط هممهم إلى الطاعات. (2)

1.1 فمدار الإسلام على هذا الحديث ، وأن الأمة لو أخذت بهذا الحديث جدياً لتغير حالها، وانصلح أمرها ، وجمع شملها ، ولخلصت النفوس من الأمراض ، وخلص المجتمع من الآفات ولعدنا كما في قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (3)

إن هذا الحديث وحده يعد دليلاً واضحاً على استخدام رسول الله – ﷺ – تحميل المسؤولية وإشراك الجميع فيها وسيلة من وسائل التربية ، وهذا الحديث وحده كاف لإثبات نجاح هذا الأسلوب التربوي في تربية الفرد المسلم ، والمجتمع المسلم ، والجيل المسلم ، وهو وحده كاف لنجاح القائد المسلم في قيادة دولته مهما كبر حجمها ، ومهما كانت أعباؤها.(4)

ومبدأ الدين النصيحة من المبادئ المسؤولة التي يجب على المسلم أن يركز عليها ويهتم بها ويعمل بها، فلا بد من النصح وإنكار المنكر في مواجهة الفساد المنتشر في المجتمع الذي يعيش فيه، كلا على حسب طاقته وقدرته، فخطيب الجمعة مثلا يستغل خطبته في تبصير الناس وموعظتهم وتحذيرهم من كل فساد، وكذلك تكون النصيحة في وسائل الإعلام والشبكة العنكبوتية ووسائل التواصل الاجتماعي وغير ذلك من الطرق التي تؤدي إلى نصح الناس وتذكيرهم بالله عز وجل.

المطلب الثالث

مبدأ وجوب وقاية النفس والأهل من النار

إن هذا المبدأ منطلق من قول الله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ (5)

---

(1) ينظر: المصدر السابق (2/ 38 – 39).

(2) ينظر: شرح النووي على مسلم، (39/2).

(3) سورة آل عمران، الآية: 110.

(4) ينظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النوبية، لزياد محمود العاني، ط1 – 2000م، دار عمار – عمان ص299.

(5) سورة التحريم، الآية: 6.

فعملاً بهذه الآية الكريمة ، يشعر الفرد المسلم بهذه المسؤولية فتدفعه للعمل بدون توان ولا ملل ، ويراعي في هذه المسؤولية هل حفظ الأمانة أم ضيع وفرط ؟ وإن أولى الناس بالمحاسبة والمراقبة نفسه التي بين جنبيه فيراجعها الفينة بعد الأخرى ويسألها قبل أن تسأل ، كما أن مسؤولية الفرد عمّن يعول يشعره بالمسؤولية التامة فيتعاهدها بالرعاية والعناية ويراقب الله في هذه الأمانة .

ومن بلاغة القرآن الكريم أن جاءت هذه الآية الكريمة بعد (موعظة نساء النبي – ﷺ – مناسبة لتنبيه المؤمنين لعدم الغفلة عن موعظة أنفسهم وموعظة أهليهم وأن لا يصدهم استبقاء الودّ بينهم عن إسداد النصح لهم وإن كان في ذلك بعض الأذى ، وهذا نداء ثان موجه إلى المؤمنين بعد استيفاء المقصود من النداء الأول نداء النبي ﷺ) . (1)

بقوله تعالى يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُور رَّحِيمٞ (2) .

ووجه الخطاب إلى المؤمنين ليأتسوا بالنبي – ﷺ – في موعظة أهليهم . (3)

ولما نزلت هذه الآية الكريمة قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لرسول الله – ﷺ – : يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا ؟

قال : تنهوهم عما نهاكم الله ، وتأمرونهم بما أمر الله . (4)

والمعنى : يأيها الذين ءامنوا بالله ورسوله قو أنفسكم وأهليكم نار جهنم ، فإنها وقودها الناس والحجارة لا وقودها العشب والحطب أحفظوا أنفسكم من هذه النار بترك المعاصي ، وفعل الطاعات ، واجتناب المنهيات ، التي تغضب الله ورسوله ، واحفظوا أهليكم منها بان تأمروهن بالمعروف وتنهوهن عن المنكر ، وتعلموهن الخير وأوامر الشرع وتؤدبوهن بأدب القرآن .(5)

والأهل : هم الزوجة والأولاد والخدم ومن هم في حوزتك ومعيشتك ولقد صدق الله حين قال وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ (6) ، وكذلك قوله تعالى : وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ(7) .

فالمسلم الواجب عليه أن يصلح نفسه أولاً، وأن يحذر من الفساد بكل أنواعه، ويقي نفسه شر النار وغضب الجبار ، ثم يتجه ثانية إلى تكوين أسرته على مبادئ الدين الحنيف ويغرس في نفوسهم أدب القرآن الكريم، وحب الأمانة والمحافظة عليها وبهذا يكون وقى أهله من النار ، فلست مطالباً بنفسك فقط بل عليك نفسك ثم أهلك وأسرتك ، ثم

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (365/28).

(2) سورة التحريم، الآية: 1.

(3) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (28 / 365).

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد شمس الدين القرطبي، ط2 – 1964م، دار الكتب المصرية – القاهرة (196/18).

(5) ينظر: التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي، ط10 – 1413هـ، دار الجيل الجديد – بيروت، (705/3).

(6) سورة طه، الآية 132.

(7) سورة الشعراء، الآية 214.

إن أردت زيادة في الخير فادع إلى الله واعمل في محيط إخوانك ومعارفك وأصدقائك على نشر أدب الإسلام وتعاليمه (1) .

فهذه النار التي يجب على المسلم أن يقي منها نفسه وأهله ، عليها ملائكة غلاظ شداد أي : ((غليظة أخلاقهم شديد انتصارهم يفزعون بأصواتهم ويزعجون بمرآهم ويهينون أصحاب النار بقوتهم وينفدون فيهم أمر الله الذي حتّم عليهم بالعذاب وأوجب عليهم شدة العقاب)) (2) ، فهذه الملائكة تنقاد لأمر الله وطاعته في كل ما أمرهم به فهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

الخاتمة

الحمد الله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. وبعد :

وفي ختام هذا البحث المتواضع أقدم النتائج التي توصلت إليها والتي يمكن إجمالها في الآتي :-

1-أن مبدأ مسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد مسؤولية تقع على عاتق الناس جميعاً ، فهي فريضة شرعية أمر بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

2-أن مبدأ المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد تجعل الإنسان يشعر بالمسؤولية والأمانة أمام الله عز وجل أولا وأمام مجتمعه ثانيا وتعيده إلى جادة الطريق والبعد عن الفساد وأشكاله.

3- إن الأخذ بمبادئ المسؤولية الشرعية في مواجهة الفساد تعين المسلم على أداء واجبه التربوي والأخلاقي نحو ربه وأسرته ومجتمعه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه(صحيح البخاري)
2. صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
3. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، د – ط، دار المعرفة – بيروت.
4. شرح النووي على مسلم، لأبي زكريا النووي، د – ط، دار الكتب العلمية – بيروت.
5. الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد البر، ت: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، ط:1 – 2000م .
6. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد شمس الدين القرطبي، ط2 – 1964م، دار الكتب المصرية – القاهرة.
7. التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي، ط10 – 1413هـ، دار الجيل الجديد – بيروت.
8. تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، د – ط، دار الحديث – القاهرة.

(1) ينظر: التفسير الواضح، لمحمد محمود الحجازي، (3 / 705).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، د – ط، دار الحديث – القاهرة، ص970.

9. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير أبو جعفر الطبري، ت: أحمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: 1- 2000م .
10. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر 1984م.
11. المعجم الوسيط، صادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية.
12. تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهري اللغوي، ت: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1- 2001م .
13. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط1، دار صادر – بيروت.
14. المسؤولية والجزاء في القرآن الكريم، لمحمد الشافعي، ط1 – 1982م، مطبعة السنة المحمدية.
15. مسؤولية رئيس الدولة في الفقه الإسلامي لمحمد نويجي، د- ط، دار الجامعة الجديدة – الإسكندرية.
16. المسؤولية والجزاء في السنة المطهرة، لحسن صالح العناني، ، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين 1979م .
17. ابن إسماعيل البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ط1 – 1422هـ، دار طوق النجاة.
18. المسؤولية في الإسلام، لعبد الله الأهدل، ط3، 1992م، د – ن.
19. أساليب الدعوة والتربية في السنة النوبية، لزياد محمود العاني، ط1 – 2000م، دار عمار – عمان .
20. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد شمس الدين القرطبي، ط2 – 1964م، دار الكتب المصرية – القاهرة.